

الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية في الخطاب السردى
Stylistic characteristics of the pragmatic functions of narrative discourse

زرادي نور الدين²
noureddine@educ.univ-oran1.dz

رملي عادل¹
adelramli10@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/15
Received: 31/01/2025

تاريخ الاستلام: 2025/01/31
published: 15/12/2025

ملخص المقال :

يسعى المقال إلى مقارنة الأسلوب من خلال الوظائف التداولية التي اقترحتها نظرية النحو الوظيفي في الخطاب السردى، بهدف الكشف عن العلاقة بين البعد الأسلوبى والبعد التواصلى الذى تقوم عليه بنية السرد. وقد اقتضى ذلك أن يقف البحث على فرش نظري يمهّد لفهم الوظائف التداولية في حقلها المفهومى، ثم تحليل بعض تظاهراتها في الخطاب السردى جاعلا من "رواية تصريح بضياح لسمير قسيمة"، موضوعا للدراسة والتطبيق، بغية تقصي كيفية مساهمة الأسلوب في أداء الوظائف التداولية ومدى ارتباطها بفعل القصد والتأثير والتوجيه، واستكناه طبقات الجمال في هذا الارتباط.

كلمات مفتاحية: الخصائص الأسلوبية، الوظائف التداولية، الخطاب السردى.

Abstract:

This study adopts a stylistic approach informed by the pragmatic functions outlined in Functional Grammar theory, applied to the narrative text, with the aim of exploring the interplay between stylistic and communicative dimensions in narrative structure. It begins by establishing a concise theoretical framework to clarify the conceptual scope of pragmatic functions, before examining their manifestations in narrative discourse through an analysis of *Tasrih Bi Thiaa* by Samir Qasimi. The research investigates how stylistic choices serve pragmatic functions and the extent to which these functions are linked to intentionality, persuasion, and direction, while also uncovering the aesthetic layers that emerge from this interrelation.

Keywords: Stylistic Characteristics; Pragmatic Functions; Narrative Discourse.

(1) مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب جامعة وهران 1، جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر)

(2) زرادي نور الدين جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر)

1. مقدّمة:

تخلقت الأسلوبية في رحم اللسانيات وتشابكت مع علوم اللغة كالنحو والبلاغة، وبرزت التداولية كحقل يتقاطع معها في العناية باللغة، مع اختلاف المنهج في الدراسة والتحليل. فالتداولية تركز على البحث في اللغة عند الاستعمال، مع الاهتمام بالقواعد الضمنية التي تنظم التواصل، ومراعاة السياق، وتحليل القوى الإنجازية للأفعال الكلامية وشروط تحققها. أما الأسلوبية، فعلى الرغم من إدراكها للأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسية المؤثرة في إنتاج النص، فإنها تتجاهلها أثناء التحليل، إذ تقتصر على البعد اللساني، وتركز على جمالية التعبير، وتنظر إلى النص من خلال ثنائية النمط والتجاوز، لرصد الخصائص الفنية والانزياحات التي تمنحه فرادته. وكان مما أفرزته التداولية نظرية النحو الوظيفي التي أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث، وأبرز ما يميز هذه النظرية عن النظريات الوظيفية الأخرى إدراج مستوى خاص لتمثيل الجوانب التداولية، والتي من أهمها الوظائف التداولية. وتأتي هذه الورقة البحثية لترصد الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية في رواية تصريح بضياح للروائي الجزائري سمير قسيمي، والسبب وراء اختيار هذه الرواية احتواؤها على طبقات مقامية مختلفة شكّلتها بنية الحوار القائم بين شخصياتها، كما أن لغة الرواية لغة إنجازية ذات طابع تواصلية تسعنا في استجلاء الوظائف بشكل أكبر. أضف إلى ذلك أن نظرية النحو الوظيفي نظرية تربط اللغة بالحياة من خلال مبدئها العام المتمثل في أن الوظيفة الأساسية لأية لغة طبيعية، هي التواصل، ومن شأن هذا الربط أن يعيد للغة العربية حيويتها، ومن ثم يشمل كل ماله صلة بالحياة العملية والعلمية. ومن هذا المنطلق تسعى هذه الورقة للإجابة على الإشكال الآتي: هل الوظائف التداولية المقترحة في إطار نظرية النحو الوظيفي لها القدرة على منح القارئ تأويلا دلاليا وتداوليا - كافيا - للجملة وللنص؟ هل يمكن أن تلتي الأسلوبية والتداولية خاصة إذا وضعنا في الحسبان أنّ الأولى تقف عند حدود جمالية القول داخل المعطى اللساني، في حين تقوم الثانية بالنظر في قيمة القول خارج العالم اللساني؟

وهذا هو مسعى الدراسة وهدفها إذ تروم إيجاد جسر يربط بين الوظائف التداولية وخصائصها الأسلوبية في الخطاب السردى لاستجلاء مظاهر الجمال فيها، وتبيين مدى الكفاية التطبيقية لهذه النظرية. وقد كان معتمداً البحث في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي نعرض من خلاله مفاهيم الوظائف التداولية، واتباع ذلك بتحليل نصّ روائي وفق هذه النظرية.

كما استعانت الدراسة بعدد المصادر أهمها كتب أحمد المتوكل مثل الوظائف التداولية في اللغة العربية، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أما عن خطة الدراسة فتمت في مقدمة عرضت فيها منطلقات الدراسة وإشكالياتها وأهدافها، ثم مبحثين؛ تناول الأول مفاهيم الوظائف التداولية والأسلوبية، والثاني تناول الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية في رواية تصريح بضياح، ثم خاتمة أجملت أهم نتائج الدراسة المتوصل إليها مشفوعة ببعض التوصيات.

2. الوظائف التداولية

يبدأ العلم بالظهور والاكتمال من خلال ما يفرزه من ثبت اصطلاحى يميزه عن سائر العلوم (عبد السلام المسدي، 1986، صفحة 13) وينطبق هذا على التداولية في اهتمامها بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، مع التركيز على القواعد الضمنية المنظمة له، والتي تمكن المتكلم من تحقيق المعنى المطلوب، مثل القواعد الاجتماعية والعملية الأسلوبية (عبد الحميد جحفة، 1999، صفحة 28)، إضافة إلى مراعاة السياق الذي ترد فيه اللغة، والنظر في القوى الإنجازية المتضمنة في الأفعال الكلامية، وشروط تحقق الفعل بالقول. أما الأسلوبية، فعلى الرغم من

اعترافها بوجود أبعاد ثقافية واجتماعية ونفسية تؤثر في إنتاج النص الأدبي، إلا أنها تتجاهل هذه الأبعاد أثناء التحليل، إذ تقتصر دراستها على البعد اللساني للنص، وتركز على جمالية العبارة، وتنظر الأسلوبية إلى النص الأدبي من خلال ثنائية النمط والتجاوز، ما يجعلها منهجاً يعنى بدراسة الخواص الفنية الموجودة في الجماليات الكلامية (المسدي، 1982، صفحة 53) وكان مما تمهياً للتداولية خلال مسيرة البحث فيها، الوظائف التداولية، وهي نوعان؛ وظائف داخلية، ووظائف خارجية.

1.2 الوظائف الدّاخلية:

البؤرة: مما هو معروف في أدبيات النحو الوظيفي أن البؤرة تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الهامة أو الأكثر بروزاً في الجملة (أحمد المتوكل، 1985، صفحة 28) وقد مُيز بين نوعين من البؤرة: بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة. فبؤرة الجديد هي المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة الغائبة عن ذهن المخاطب فهي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتخاطبين. أما بؤرة المقابلة فهي التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي جحد المخاطب ورودها (طه الجندي، د ت، صفحة 32).

المحور: معلوم أن المكون لا يكون محدثاً عنه إلا إذا كان حاملاً للمعلومة يتقاسمها المتكلم والمخاطب، فينصرف الحديث إليها وتصبح محل اهتمام ومحطّ عناية، ومن ثمّ (أحمد المتوكل، 1987، صفحة 239) "تسند وظيفة المحور إلى المكون الدال على ما يشكل المحدث عنه داخل الحمل".

2.2 الوظائف الخارجية:

المبتدأ: هو المكون الدال على مجال الخطاب الذي يعد بالنسبة إليه الحمل وارداً، وتبعاً لذلك فإن الجملة التي تشتمل على تلك الوظيفة تبنى عادة من مكونين:

- مكون دال على مجال الخطاب وهو المبتدأ.

- ومكون يليه يدل على فحوى الخطاب، وهو الحمل بعده.

تعود تداولية المبتدأ إلى ارتباطه بالمقام، ذلك أن تحديده لا يتم إلا انطلاقاً من الوضع التخاطبي القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة معينة، كما أن وظيفة المبتدأ تكون صائبة إذا كانت موافقة لما هو موجود في الواقع (علي آيت أوشان، دت، صفحة 163)

الذيل: هو الذي (أحمد المتوكل، 1985، صفحة 147) "يحمل المعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تعدلها" ثم يضاف دور آخر للذيل إلى جانب دورَي التعديل والتوضيح، وهو دور التصحيح، وهذا البعد نابع في اللغة العربية من البنيات الإضرابية.

ج- المنادى: هذا المكون هو من اقترح المتوكل، ويرى أنه كاف لوصف اللغات الطبيعية بصفة عامة، (أحمد المتوكل، 1986، صفحة 16) وعرفه بقوله: (أحمد المتوكل، 1987، صفحة 237) "المنادى وظيفة تسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين". وهذا يستوجب التمييز بين النداء باعتباره فعلاً لغوياً شأنه في ذلك شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالإخبار والأمر والاستفهام والوعد والوعيد، وبين المنادى باعتباره مكوناً من مكونات الجملة يدل على الذات محط النداء، فالنداء إذاً فعل لغوي في حين المنادى وظيفة تُسند إلى أحد مكونات الجملة.

3. الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية في رواية تصريح بضياح

تصور رواية تصريح بضياح للروائي الجزائري سمير قسيمي حياة عائلة بأكملها تحيا لتحقيق نبوءة عجوز شحاذة طرقت بابهم يوماً، ففتحت لها الأم، فقالت لها العجوز: 'تزيدي تسعة، الرجال فيهم أربعة: واحد ظالم، ولاخر عالم، واحد أعمى، ولاخر يرفدو الما' وكانت هذه

الحادثة قبل مولد البطل - الذي اختاره الروائي ليسرد تفاصيل الرواية دون أن يفصح عن اسمه - بعشرات السنين، وبالضبط في سنة 1954. وسيتم رصد الوظائف التداولية وخصائصها الأسلوبية في الرواية بعد تقسيمها إلى طبقات مقامية مختلفة، نجمع في كلٍ منها ما تفرق من أحداث تندرج ضمن طبقة واحدة، حتى يسهل ربط الوظائف التداولية بقيمتها الفنية في الرواية.

ولذلك سيكون تقسيم الرواية بحسب الأحداث المهمة في حياة البطل، وهي أربعة أحداث؛ أحداث البطل مع صديقه إسماعيل، وأحداث البطل مع عائلته، وبعدها أحداث البطل مع الشرطة وسلك القضاء، وأخيرا أحداث البطل في السجن مع المساجين.

1.3 الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية في أحداث البطل مع صديقه إسماعيل:

يعد إسماعيل بالنسبة للبطل أكثر من صديق، إذ اقتبس من أفكاره ما أعانه على حياته الشيء الكثير، وهو الصديق الوحيد له، يقول البطل: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 49). "هذا هو إسماعيل صديقي، آخر الأصدقاء وأوحدهم... أحيانا أشعر أنه كان معي حتى في سنوات طفولتي، فقد كان يعرف كل شيء عني حتى أكثرها حميمة"

وسنقوم بتقسيم الأحداث التي وردت بين البطل وإسماعيل حسب الطبقات المقامية المختلفة التي تظهر كالآتي:

الطبقة المقامية الأولى: تنطلق أحداثها حينما التقى البطل بصديقه إسماعيل، وراحا يتجولان في شوارع العاصمة، ولما دخلا شارع ميسونيي اختلفا في شخصية ميسونيي، أهو "فرنالد ميسونيي" السفاح أم "جون لويس أرنست ميسونيي" العبقرى، وكان كلاهما فرنسيا، فبينما اعتقد البطل أن الشارع هو باسم "فرنالد ميسونيي"، جزم إسماعيل بأنه باسم "أرنست ميسونيي"، ويتضح ذلك عندما خاطب إسماعيل البطل قائلا: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 09) "ما الذي يجعلك تعتقد أن اسم الشارع هو لفرنالد ميسونيي؟" ثم أردف قائلا: "أتحسب فرنسا تفضل سفاحا كفرنالد على عبقرى كجون لويس أرنست ميسونيي؟".

ومن خلال هذا الملخص للطبقة المقامية الأولى يمكن رصد الوظائف التداولية المتوفرة فيها كما يلي:

البؤرة: نجد في هذه الطبقة المقامية أن البؤرة المهيمنة هي **بؤرة المقابلة**، ومرجع هذا إلى الاختلاف الذي أبداه الطرفان (البطل وإسماعيل) في تحاورهما، إذ يظهر أن كل واحد منهما يحاول التأكيد على أن رأيه هو الصواب، لكن هذا لا يعدم ورود بؤرة الجديد، حيث ظهرت هي الأخرى في الوضع التخابري بينهما، ويظهر ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

يقول إسماعيل مخاطبا البطل: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 09).

- ما الذي يجعلك تعتقد أن اسم الشارع هو لفرنالد ميسونيي؟

- أجبته بشيء من الاستخفاف:

- ولما تريده أن يكون وهو اسم ورثناه من فرنسا، وليس أحب إليها من سقّاحيها تزين بأسمائهم لافتات شوارعنا.

ابتسم وهزّ رأسه كمن لم يقتنع، أو كمن فقد الأمل في إقناعي، ثم لم يلبث أن قال: - لم أكن أعلم أنك بمثل هذا الجهل، أتحسب فرنسا تفضل سقّاحا كفرنالد على عبقرى كجون لويس أرنست ميسونيي، أحقا تصدق ذلك؟!

الحقيقة لم أكن أعرف هذا "الإرنست" ففضلت السكوت والنظر إليه، وكأنني أنتظر المزيد.

- ليس عليك إن كنت لا تعرف إرنست ميسونيي

نلاحظ أنّ بؤرة الجديد وردت في هذا الوضع التخابري في قول البطل: "...وهو اسم ورثناه من فرنسا... شوارعنا" فالبطل افترض أن إسماعيل لا يدرك هذه المعلومة، فزوده بها، لكن إسماعيل يبدو غير كذلك، وهو ما دلت عليه حركته الجسمانية، الابتسامة وهزّ الرأس في آن، إيجاء بأن هذا الكلام غير مقنع، وهذا ما دلت عليه بؤرة الجديد المسندة إلى الجملة برمتها في قول البطل محدثا عن إسماعيل: "ابتسم، وهزّ رأسه كمن لم

يقتنع " فكان لهذه الحركة الجسمية في هذا المقام دور لو عُوِّضت بكلام، ما كان ليؤديه، حيث جعلت البطل يعترف بأنه لا يعرف "الأرنست" حتى ألزمه ذلك السكوت، ولذلك جاءت بؤرة الجديد لتبين ذلك على لسان البطل: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 09). "الحقيقة لم أكن أعرف هذا 'الإرنست'، ففضلت السكوت".

بؤرة المقابلة: وردت بؤرة المقابلة في هذه الطبقة المقامية كالآتي: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 09-10).

. ما الذي يجعلك تعتقد أن اسم الشارع هو لفرنالد ميسونيني؟ قال إسماعيل.

. ولمن تريده أن يكون؟ ردّ البطل.

. أتحسب فرنسا تفضل سفاحا كفرنالد على عبقرى كجون لويس أرنست ميسونيني؟

. أحقا تصدق ذلك؟

. ... ولكن ذلك لا ينفي شيئا مما افترضته

. ولكنك تدّعي أنك قرأت كل أعمال أمبرتو إيكو.

. بالطبع قرأت كل أعماله.

. لو أنك فعلت لاكتشفت شغفه بلوحات ميسونيني.

كل هذه الجمل احتوت على **بؤرة مقابلة**، أسندت إلى الحمل برمته، ونلاحظ أن بؤرة المقابلة في هذا الحوار جاءت متتالية، بمعنى أن القاسم الإخباري بين المتخاطبين مشترك، لكنهما اختلفا، ولذلك جاء الاستفهام في البداية يجسد رأي كل واحد منهما، فقول إسماعيل للبطل: "ما الذي يجعلك تعتقد أن اسم الشارع هو لفرنالد ميسونيني؟" جاء عن طريق الاستفهام، فأجابه البطل، بنفس الطريقة وهي الاستفهام، "ولمن تريده أن يكون؟" وتماثل الطرح بين السؤال والجواب في هذا المقام يدل على أنّ المتخاطبين في طبقة اجتماعية واحدة تسمح لهما بإنشاء مثل هذا الحديث، وكأن كل واحد منهما لا يريد أن يقدم إجابة، أو يريد تقديم إجابة ولكنها غير صريحة.

ثم نلاحظ كيف انتقل إسماعيل من الاستفهام -بعدما يئس من إقناع البطل- إلى الإخبار الذي يحمل الإنكار، "ولكنك تدّعي أنك قرأت كل كتابات أمبرتو إيكو" بحيث أنكر على البطل أن يكون قد قرأ كل ما كتبه إيكو، مما جعل المخاطب/البطل يلجأ إلى التوكيد في إجابته: "بالطبع قرأت كل أعماله"، واللجوء إلى التوكيد هاهنا لخلق باب الإنكار أو الشك. لكن إسماعيل لم يستسلم بعد، ولم يرضخ لتأكيد البطل، فجاء بتأكيد آخر يحمل استخفافا واستهزاء "لو أنك فعلت لاكتشفت شغفه بلوحات ميسونيني". ما يلاحظ هو أن المتخاطبين يتشاكلان ليختلفا، فحين يصدر المتكلم كلامه باستفهام، يردّ عليه المخاطب باستفهام آخر، وحين يلجأ المتكلم إلى التوكيد، يأتي المخاطب بتوكيد أبلغ منه، ليخالف المتكلم ولذلك نجد أنّ بؤرة المقابلة هي المهيمنة في هذا الحوار وقد جسدت الأنا المتعالية للمخاطب/البطل، ورغم كل الدلائل التي قدمها إسماعيل على أن اسم الشارع هو لميسونيني العبقرى وليس ميسونيني السفاح، إلا أنّ البطل مازال متمسكا برأيه، وجاء بالقول الفصل: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 09) "وقلت لتكون كلمتي هي الأخيرة: مهما يكن هذا الميسونيني فلم يبلغ في قلب فرنسا بكل روائعه ما قد يبلغه في قلبها أي كلب يعرض جزائريا" وتوجد العديد من القرائن اللغوية الدالة على الأنا المتعالية للبطل منها قوله في بداية الحوار: "سألني (أي إسماعيل) وأنا أحاول إقناعه برأبي"، وقوله كذلك: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 09) "هكذا أنا، حين أحب، أحب بكل تطرف، وحين أكره، أكره بكل تطرف، ومن فرط تطرفي أصبحت لا أسمع إلا صوتي"

الذيل: بالعودة إلى البنية الحوارية بين البطل وصديقه إسماعيل لا نجد ورودا كبيرا لوظيفة الذيل، حيث وردت مرة واحدة. وذلك في الوضع

الحواري الآتي الذي يخاطب فيه إسماعيل البطل: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 10)

"لو أنك فعلت لاكتشفت شغفه بلوحات ميسوني
إذاً فهو رسام.

بل واحد من أعظم الرسامين، يكفيه فقط لوحته "نابليون الثالث في سولفيرينو" المحفوظة في اللوفر لترسخ أقدامه في عالم الخالدين
من خلال هذا المثال نجد أنّ وظيفة الذيل هاهنا في قول إسماعيل: "بل واحد من أعظم الرسامين" جاءت لتوضيح كلامه، ومن ثمّ فهو ذيل
توضيح على تقدير كلام محذوف لإسماعيل أصله: "نعم هو رسام، بل واحد من أعظم الرسامين...."
فهو في البداية بنى حمله على معلومة معينة، استشعر بعد ذلك أنها غامضة ومبهمّة، فأضاف كلاماً آخر لتوضيح المعلومة، علّة ينجح في إقناع
البطل. وتقدير الحمل المحذوف هنا بحسب السياق، إذ إن الرّدّ على قول البطل: "إذاً هو رسام" سيكون جوابه الطبيعي "نعم، هو رسام"، ولم
يكن الحذف ليقع لولا النماء السردي والوضع التخاطبي المشترك بين إسماعيل والبطل.

3.3 الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية في أحداث البطل مع الشرطة وسلك القضاء:

تعددت أحداث البطل مع الشرطة والقضاء، فخبر الوجه الحقيقي لهما، وسنقوم بإيراد الطبقات المقامية المهمة ونرصد فيها الوظائف
التداولية المشتملة عليها خصائصها الأسلوبية.

الطبقة المقامية الأولى: تدور أحداثها حول زيارة البطل لمحافظة الشرطة السادسة بديدوش مراد للتبليغ عن ضياع بطاقة المكتبة التي فقدتها منذ
يومين. وأمام مدخل المحافظة وجد شرطياً واقفاً، فتقدم نحوه ليعرض شكواه، إلا أن الشرطي أشار إليه أن يمهل لحظات فقد كان مشغولاً بمكالمة
هاتفية. وبعد دقائق ربت الشرطي على كتف البطل الذي كان منشغلاً بالحديث مع صديقه إسماعيل قائلاً: (سمير قسيمي، 2010، صفحة
12)

"- يبدو أنني أطلت عليك حتى بدأت تكلم نفسك.

- ماذا تريد بالضبط؟"

البؤرة: أسندت **بؤرة الجديد** في العبارة الأولى إلى الحمل برمته، وأسندت في العبارة الثانية إلى المكون الأول من الجملة وهو أداة الاستفهام
'ماذا' ومن ثم فهي بؤرة مكون.

إن تصدير الشرطي لكلامه بهذه العبارة التي وجهها إلى البطل "يبدو أنني أطلت عليك حتى بدأت تكلم نفسك" يدل على أن الشرطي حقيقة
قد أطل أكثر مما طلب من البطل أن ينتظره، وهذا ما وضحه البطل في قوله: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 12) "إلا أن اللحظات سرعان
ما امتدت دقائق" ولذلك فهو يعترف بإطالته، لكن ليس من باب الاعتراف وإنما من باب السخرية، لأن الاعتراف عادة يدل على الاعتذار،
لكن أنّي لهذا الشرطي أن يعتذر، وهو الذي وجه كلاماً آخر للبطل - بعدما همّ بالدخول إلى قاعة الاستقبال - لا ينم على أدنى احترام أو
أدب حينما قال له: "إلى أين؟ هذه ليست دار أمك"، إذ ما محل هذا الكلام من قيم وأخلاق الشرطي إلا إذا كان لا يعرف من الأدب غير
لفظته، بل قد بلغ الأمر من وقاحته وقلة أدبه أن تجاهل إسماعيل تماماً وكأنه غير موجود، لذلك قال للبطل: "حتى بدأت تكلم نفسك"، رغم
أنه كان يحدث إسماعيل الذي كان واقفاً أمام الشرطي. والمعاني نفسها تحملها بؤرة الجديد المسندة إلى أداة الاستفهام في المثال الثاني "ماذا تريد
بالضبط؟"، إذ كيف لم يوجه السؤال لهما معاً، فالبطل مازال لم يفصح بأنه هو صاحب القضية التي من أجلها دخلت المحافظة.

الطبقة المقامية الثانية: تبدأ أحداث هذه الطبقة عندما علم البطل أنه قيد الطلب من المحافظة السادسة للشرطة التي قصدها من أجل التبليغ
بضياع بطاقته، ومنها نقل إلى محافظة أخرى تعرف بمحافظّة الكافينياك، حيث أمضى ليلته هناك، وفي الصباح أقيّد إلى محكمة سيدي محمد

لِيُنْظَرَ في أمره، لكنه علم بعد ذلك أن الأمر الصادر ضده كان من محكمة الحراش، فنقل إلى هنالك، وقد مكث بها حتى المساء، إلى أن حان دوره فدخل مكتب الوكيل، وهناك تحاورا: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 71)

- "لقد صدر ضدك حكم غيابي، تعلم ذلك..."
- لا
- ألم يصلك أي استدعاء؟
- لا، لم يصلني شيء.
- لكنك كنت تعلم بصدور أمر بالقبض عليك.
- ولم تظني أعلم بذلك؟
- لأنه صدر ضدك حكم غيابي.
- لكن لم يصلني شيء.
- هذا ما تقوله أنت.
- ولكنها الحقيقة.
- قلت هذا ما تقوله أنت، المهم هل تريد أن تعارض الحكم؟
- بالطبع، ولكن ماهي قضيتي؟

في هذا الحوار وقع خلاف بين الوكيل والبطل، فبينما كان الوكيل يصبر على أن البطل يعلم بصدور حكم غيابي ضده، راح البطل يفند ذلك بكل ما أوتي من حجة.

ولذلك نجد بؤرة المواجهة في مستهل الحوار، "لقد صدر ضدك حكم غيابي" مسندة إلى الحمل برمته، وهي مؤشّرة بالأداة "قد" لتقوية الحكم، فالمتكلم/الوكيل كان يعتقد أن البطل يعلم بهذا الأمر، ولذلك راح من البداية يؤكد عليه، ويدل على ذلك أكثر ما أضافه من كلام، فقال للبطل: "تعلم ذلك" على سبيل الإخبار وليس على سبيل الاستفهام. بل إن الوكيل جزم سلفا أن البطل يعلم بهذا الحكم بعدما اطلع على ملفه، لكن البطل فاجأه بأنه لا يعلم شيئا بقوله: "لا" فهذه معلومة جديدة بالنسبة للوكيل ومن ثمة فهي تمثل بؤرة جديد مسندة إلى الحمل برمته على تقدير محذوف وهو "لا، لا أعلم بصدور الحكم" وقد أثار هذا شك الوكيل، فأردف قائلا: "ألم يصلك أي استدعاء؟" حيث ورد في هذه العبارة بؤرة مقابلة أسندت إلى الحمل برمته، ومؤشّر عليها بأداة الاستفهام "الهمزة"، لقد طرح الوكيل هذا السؤال وهو في حالة استغراب، إذ كيف يمكن أن يصدر حكم ضد شخص ما هو لا يعلم بذلك، ومما زاد حيرته ودهشته أن البطل قال: "لا، لا، لم يصلني شيء" وهنا بؤرة جديد مسندة إلى الحمل بأكمله، وظلا هكذا فلا الوكيل صدّق البطل، ولا البطل رضى لقول الوكيل، إلى أن قال الوكيل في النهاية للبطل: "هل تريد أن تعارض الحكم؟" وهنا نجد أن الوكيل انتقل من التوكيد والإنكار، إلى أمر جديد، وهو إعلام البطل إن كان يريد معارضة هذا الحكم، ومن ثم فإن البؤرة المسندة إلى هذه العبارة هي بؤرة جديد، وقد كان الجواب من قبل المخاطب بالإيجاب. ولكن الأمر الغريب هو كيف يعارض البطل حكما لا يعلم أمره ولا يعلم سببه، ولا يعلم أصلا لماذا هو واقف أمام هذا الوكيل الذي أثقله بهذه الأسئلة، حتى عندما سأله عن قضيته لم يجبه.

إن تنوع البؤرة هنا يجسد حالة الاضطراب والفوضى داخل الجهاز الأمني، إذ أيعقل أن يرتكب شخص خطيئة ثم يحاكم عليها وهو لا يعلم بهذه المحاكمة؟ أيتهم بلا سبب؟ ماذا فعل البطل يا ترى ليمكث أياما معدودات في السجن؟ ربما لن نجد إجابة، فحتى الرواية لم تذكر حيثيات هذه القضية.

4.3 الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية لأحداث البطل في السجن مع المساجين:

تصور هذه الرواية السجن بدقة متناهية حتى عدّها بعض النقاد مندرجة ضمن أدب السجون، وقد التقى البطل بعدد المساجين ثمة، كالحاج لمنور والنذير في سجن الكافينياك، وبفوزي وقاديرو في سجن الحراش، وأهم سجين التقى به هو الشيخ عمي أحمد الصوري، وبعد الأهم لما لعبه من تأثير في حياة البطل، ليس في السجن فحسب بل بعدما خرج من السجن أيضا، فالبطل دخل السجن مثقلا بعدد الألباز العائلية، موت أخته سناء فجأة، موت أبيه الذي منع من حضور جنازته، ولم ير قبره أبدا بعد ذلك، ولكن لقاءه بعمي أحمد الصوري جعله يعرف الحقيقة، وهذا ما اعترف به البطل حيث قال: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 154) "ولكن عليّ أن أعترف أن هذا ما جعل حملي الذي دام أكثر من ثلاثين عاما يخف إلى الأبد"

وقبل خوض أحداث البطل مع عمي أحمد الصوري، نقل تلك المحادثة التي جرت بين البطل وأحد الشباب المساجين، والتي كان موضوعها عمي أحمد الصوري، فالبطل بدأ ينشغل به بعدما هاله أمره، فسأل الشاب الذي بجانبه: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 88) "من يكون؟"

-شكون عمي أحمد؟

-نعم، ذلك الجالس هناك.

-مجرد مهبول، متشرد، مع حلول فصل البرد يقترب جرما ما، ثم يسلم نفسه.

-يسلم نفسه؟!

-نعم، لا يجب أن يمضي فصل الشتاء في الشارع.

-وأهله؟

لا أهل له، هكذا يقولون، أنصحك بالابتعاد عنه، فأنت تبدو ولد فاميليا.

-ولم؟ لا يبدو رجلا خطيرا.

-ربما، ولكنه خطير بالفعل.

-ثم دفع فراشه نحوي وكأنه يخشى أن يسمعنا أحد.

-لقد أمضى هنا من قبل عشرين سنة. -عشرون سنة؟

-نعم، قتل ابنته، يقولون إنه اندس ليلا إلى فراشها وخنقها بوسادتها.

-ولم فعل ذلك؟

-يقولون إنها لطخت شرفه، هكذا يقولون، والغريب في الأمر أنه لم يكتشف أمره، ذهب بعد سنة من موتها وسلّم نفسه للدرك، واعترف بكل شيء، بل ورفض أن يوكل محاميا، وحين طلب منه القاضي كلمة أخيرة، طلب أن يعاقب بالمؤبد.

-ولكنك قلت إنه سجن عشرين سنة.

-نعم، فقد رأف به القاضي وظنه مجنونا.

المحور: إن هذا الحوار الذي دار بين البطل وأحد المساجين كان من أجل موضوع واحد، وهو عمي أحمد الصوري، فقد كان هذا الأخير يشكل الذات محط الحديث بينهما، ونسوق هذه الأمثلة شاهدا على ذلك:

- من يكون؟ جاء المحور هنا ضميرا مستترا تقديره "هو" ويعود على عمي أحمد الصوري، ويدل عليه رد السجين "شكون؟ عمي أحمد".

- نعم، قتل (محور معطى) ابنته (محور جديد) حيث نجد محورا ثانويا شارك المحور المركزي وهو ابنته وقد تكرّر عدة مرات:

- يقولون، إنها (محور معطى) لطخت (محور معاد) شرفه (محور معطى)، والغريب في الأمر أنه لم يكتشف أمره (محور معاد).

إنّ المحور الثانوي هنا يتعلق بالمحور المركزي، ومن ثم يندمج معه ليكمل التعريف به، إذ إن معرفة أخبار عمي أحمد الصوري لا تقتل إلا بمعرفة قتله لابنته وهو أعظم حدث ارتكبه في حياته وبسببه هو قابع في السجن.

الذيل: ورد في هذا المقام التواصل وظيفته تداولية خارجية وهي وظيفة الذيل، وقد وردت مرة واحدة في قول السجين للبطل:

- نعم قتل ابنته، يقولون إنه اندس ليلا إلى فراشها وخنقها بوسادتها.

فالسجين لما نقل نبأ قتل أحمد الصوري لابنته لم يوضح الكيفية التي قتلها بها، فأحس بأن كلامه مبهم، فاحتاج إلى كلام آخر ليوضح به كلامه الأول ومن ثم فهذه الوظيفة هي ذيل توضيح.

ومّا يلاحظ في المعلومة التي أضافها السجين للتوضيح، أنها ابتدأت بالفعل "يقولون" بمعنى أن هذا مجرد كلام يقوله الناس فهو إشاعة فقط قد تحتل الصدق أو الكذب.

حتى إنّ البطل لم يقتنع بصحتها ويقول في ذلك: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 132) "لم يكن ما جمعته من معلومات حول عمي أحمد الصوري كافيا لأقتنع بقصة قتله لابنته الفاسدة، بل كان كلّ ما جمعته يجعلني أستغرب هذه القصة".

ومن ثمّ راح البطل يحاول التقرب من عمي أحمد الصوري أكثر، إلى أن جاءت الفرصة التي انتظرها وقد اجتمع به ودار بينهما حوار طويل افتتحه عمي أحمد: (سمير قسيمي، 2010، صفحة 155)

. سمعتهم في السّاحة وهم ينادونك باسمك.

. وماذا بعد؟

. لقبك، "تردد" كنت أعرف رجلا بهذا اللقب.

. لقي من الألقاب كثيرة الاستعمال في كلّ الوطن، فلا غرابة في الموضوع.

. ربّما، ربّما أقصد أنّي قد أكون على معرفة بأبيك.

. أبي؟!

. نعم أبوك.

. لا أظن أحسب أنّ الأمر تشابه عليك، فكثيرة هي الأسماء المتشابهة

تمثّل هذه الجمل في غالبيتها بؤرة جديد، وهذا لطبيعة اللقاء، فهو أوّل لقاء يجمع بين البطل و"عمي أحمد" ومن ثمّ فهما يتبادلان معلومات جديدة تقرّبهما من بعضهما، أمّا المحور فكان "البطل" هو محطّ الحديث وهو المحور المركزي، إذ إنّ هناك محاور ثانوية ظهرت بعدما أكمل "أحمد الصوري" حديثه وتبيّن أنّه يعرف كلّ أفراد عائلة البطل وليس هذا فحسب بل يعرف كلّ دقائقها، المرأة العجوز والنبوءة التي أخبرت بها والدته، موت أخته سناء، موت والده المفاجئ، فكان المحور مرّة أمّ البطل (سمير قسيمي، 2010، صفحة 158-161) "أمك اسمها لويّة وتلقّب بالهواوية".

ومرّة المرأة العجوز: "حتى حكاية العجوز التي طرقت بابكم أعرفها".

ومرّة والد البطل: "ما حقيقة قبر أبيك".

وهذه المحاور الثّانويّة تتقاطع مع المحور المركزيّ (البطل) لأنّها أسهمت في تشكيل حياته.

لم يتوان البطل في استرسال الحديث مع عمّي أحمد، فقد هاله أن يعرف هذا الرّجل حياة عائلته أكثر من البطل نفسه. فقد سرد عليه ما

حدث له ولعائلته بعد موت أبيه، فقال له "عمّي أحمد": (سمير قسيبي، 2010، صفحة 164)

"أريدك يا بني أن تعرف أنّي بعدما سمعت قصّتك وقصّة إخوتك حزنت حزنا شديدا، بل وتمنّيت لو كنت حاضرا لأمنع الأمر.

. كيف لك أن تمنع الأمر المقدّر؟

. لا أحد يمكنه ذلك ولكنني أقول لو...

قاطعتّه: حتى وإن كنت حاضرا لما استطعت فعل شيء، كلّ ذلك كان قضاء وقدر.

. أسْتَغْفِرُ الله، ولكنني لأسباب معيّنة كنت أملك القدرة على منع ما حدث لكم، ولكن لا أريد أن تسألني عن هذه الأسباب."

تظهر وظيفة البؤرة في هذا الحوار في الجمل الآتية:

"أريدك يا بني أن تعرف... لأمنع الأمر." وهي بؤرة جديد أسندت إلى الحمل برّمته، حيث أفادت قلق وحيرة عمّي أحمد على ما حدث للبطل

وعائلته، وهذه المعلومة الجديدة شغلت كثيرا بال بطل، خاصّة بعدما أضاف عمّي أحمد "تمنّيت لو كنت حاضرا لأمنع الأمر"، إذ كيف يمكن

له أن يمنع هذا الأمر، وهو الذي كان مقدّرا، ومن ثمّ لا يمكن ردّه أو منعه، وهذا ما كان معتقدا به البطل، فكان ردّه: "كيف لك أن تمنع

الأمر المقدّر"، وفي هذه العبارة بؤرة جديد أسندت إلى المكوّن "كيف"، حيث حمل هذا الاستفهام غرابة وحيرة في آن، دفعا بالبطل إلى الإصرار

على أنّ هذا الأمر وقع بقدر الله وقضائه ولا يمكن منعه، ولذلك راح يؤكّد لعمّي أحمد: "حتى ولو كنت حاضرا لما استطعت فعل شيء، كلّ

ذلك كان قضاء وقدر".

تمثل هذه العبارة بؤرة مقابلة أسندت إلى الحمل برّمته، بعدما صارت قاسما مشتركا بين المتخاطبين.

نجد أيضا أنّ وظيفة الدليل حاضرة في هذا الحوار وذلك في قول "عمّي أحمد":

. أريدك يا بني أن تعرف أنّي بعدما سمعت قصّتك وقصّة إخوتك حزنت حزنا شديدا، بل وتمنّيت لو كنت حاضرا لأمنع الأمر.

وتظهر وظيفة الدليل تحديدا في عبارة: "بل وتمنّيت لو كنت حاضرا لأمنع الأمر."

وهي ذيل تعديل، فعَمّي أحمد شعر أنّ الحزن لا يكفي لمواساة البطل، فعَدّل عن هذا وأضاف معلومة أخرى وهي رغبته في حضور أحداث

العائلة ليمنع بعض معاناتها، لكن أنّي يكون له ذلك.

ولربّما كان هذا ختام ما دار بين البطل وعمّي أحمد.

لقد ترك الرّوائي هذا الختام مفتوحا، فهو لم يصرّح بالتحديد من يكون عمّي أحمد هذا.

هذا الرّجل الذي دخل حين غرّة حياة البطل، فعَبّر من حياته، لكن كيف استطاع فعل ذلك؟

لقد أمكننا تتبّع العديد من المقامات أن نستنتج أنّ "عمّي أحمد الصّوري" هو والد البطل، وأنّه هو الذي قتل سناء في شهرها

الخامس، ولذلك كانت أمّ البطل عندما تزوره في السّجن تسأله بمن التقى ومع من يتحدّث، فلقد كانت تعلم أنّ زوجها والد البطل في السّجن

وأنّه لم يمّت، بل دخل السّجن بسبب قتله لابنته سناء، وهذا ما يبرر عدم استصحاب البطل إلى جنازة أبيه، وعدم رؤية قبره أبدا.

خاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

- تختلف الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية باختلاف المقام الذي وردت فيه، ولا يمكن معرفة هذه الخصائص إلا باستحضار كل السياقات والمقامات التي أُنجزت فيها هذه الوظائف، وهذا ما يؤكد حدود التقاطع بين الأسلوبية والتداولية.
- ترتبط الوظائف التداولية في عمومها بنصوص تداولية عادية تقصر الأغراض عليها، ولذلك فهي لا تسعف المطبق على كشف مختلف الخصائص الأسلوبية للتركيبة الإنجازية الموظفة في النصوص الراقية. ولذلك تسعى التطورات التي عرفتها نظرية النحو الوظيفي إلى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو خطاب قادر على رصد الظواهر النصية التي استعصت أن تعالجها المعالجة الملائمة في نموذجها الأول؛ فقد انصبت الأعمال الوظيفية على تطوير الجانب النظري باقتراح مقاربات تهدف إلى الانفتاح على البعد النصي، إلا أنّ هذا التراكم النظري لم تواكبه عملية مراسية واسعة، تطبق ما جاءت به النظريات وتمحص مدى كفايتها، وإن كانت هناك أعمال تطبيقية فإنها قليلة جدا لم تتجاوز - في معظمها - قطعا تتمثل في فقرات أو جمل مركبة أو معقدة، ومن ثم لم تتح الفرصة للنحو الوظيفي في نموذج الجملة بتحقيق كفاية تطبيقية.
- تتضح الخصائص الأسلوبية للوظائف التداولية أكثر في الخطاب الروائي، لأنه عالم قائم بذاته متعدد الأبعاد، يجمع ألوانا ثقافية مختلفة، ومعارف إنسانية وعلمية متنوعة، وهذا ما جعل الوظائف التداولية حاضرة باستمرار

التوصيات:

- إن اختبار مدى الكفاية التطبيقية للنحو الوظيفي يجب أن يمتد ليصل إلى نصوص مطولة ولا يكفي بأمثلة منتقاة، ولهذا توصي الدراسة بإجراء دراسات تطبيقية عديدة على نصوص مختلفة الأجناس.
- بما أن الوظائف التداولية تولي اهتماما بالنصوص العادية، فإنه من الأجدى توجيه إطار البحث ليشمل النصوص الأدبية الراقية، مما يساهم في إغناء آليات التحليل التداولي ويظهر مستويات جديدة من الإنجاز اللغوي.

المصادر والمراجع:

1. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، 1987.
2. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.
3. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986.
4. أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المركبة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987.
5. سمير قسيمي، تصريح بضباع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2010.
6. طه الجندي، البعد التداولي في النحو الوظيفي من منظور المعطى اللغوي التراثي، مجلة كلية درا العلوم الشهرية، القاهرة، ع27، 2010.
7. عبد الحميد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، المغرب، دط، 1999.
8. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط2، ليبيا. 1982.

9. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1986.
10. علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دت.

Sources and references:

- 1 Ahmad al-Mutawakkil, Al-lisaniyat al-wazifiyya: madkhal nazari, *Manshurat 'Ukaz, Al-Ribat*, 1987.
- 2 Ahmad al-Mutawakkil, Al-waza'if al-tadawuliyya fi al-lugha al-'arabiyya, *Dar al-Thaqafa, Al-Dar al-Bayda*, 1ère éd., 1985.
- 3 Ahmad al-Mutawakkil, Dirasat fi nahw al-lugha al-'arabiyya al-wazifi, *Dar al-Thaqafa, Al-Dar al-Bayda*, 1ère éd., 1986.
- 4 Ahmad al-Mutawakkil, Min al-binya al-hamliyya ila al-binya al-markabiyya, *Dar al-Thaqafa, Al-Dar al-Bayda*, 1987.
- 5 Samir Qasimi, Tasrih bi-diya', *Al-Dar al-'Arabiyya lil-'Ulum Nashirun, Bayrut, Manshurat al-Ikhtilaf, Al-Jaza'ir*, 2ème éd., 2010.
- 6 Taha al-Jundi, Al-bu'd al-tadawuli fi al-nahw al-wazifi min manzur al-mu'ta al-lughawi al-turathi, *Majallat Kulliyat Dar al-'Ulum al-shahriyya, Al-Qahira*, n° 27, s.d.
- 7 Abd al-Hamid Jahfa, Madkhal ila al-dalala al-haditha, *Dar Tubqal lil-nashr, Al-Maghrib*, s.éd., 1999.
- 8 Abd al-Salam al-Masaddi, Al-uslubiyah wa al-uslub, *Al-Dar al-'Arabiyya lil-Kitab*, 2ème éd., Libya, 1982.
- 9 Abd al-Salām al-Masaddī, *al-Taḥkīm al-Lisānī fī al-Ḥaḍāra al-'Arabiyya, al-Dār al-'Arabiyya lil-Kitāb*, Libya, 2nd ed., 1986.
- 10 Ali Ait Ouchane, Al-lisaniyat wa al-bidaghuja: namudhaj al-nahw al-wazifi, *Dar al-Thaqafa lil-nashr wa al-tawzi', Al-Dar al-Bayda*, s.d.